توظيف الموروث الشعبي في الرواية الأردنية المعاصرة

●.. تتخذ رفقة محمد عبدالله دودين من اللغة النقدية الجديدة وسيلتها في الدخول إلى عالم الرواية الاردنية المعاصر وهي تقف عندظاهرة مهمة لايمكن للرواية الأردنية أو سواها أن تكون بمنأى عنها، وأعني بها ظاهرة الموروث بكل أشكاله وصوره ولذلك كان عنوان كتابها (توظيف الموروث في الرواية الأردنية المعاصرة) وقد صدر عن وزارة الثقافة الأردنية لعام ١٩٩٧م وما إن يطلع القارئ على مقدمة هذه الدراسة حتى يعرف أنها دراسة (أكاديمية) وفي هذا جانب يمكن أن يكون إيجابيا حيث الدقة والرصانة المطلوبة في الدراسات الأكاديمية عامة.. وكما يفترض بها أن تكون - بيد أن المنهجية قد تستحيل في بعض الدراسات الجامعية إلى مدرسية مملة وجافة لاتضيف شيئا بقدر ماتتوغل في إجراءات وتفاصيل جانبية لاغناء فيها.

د / وجدان الصائغ

والدراسة موضوعية حين لاتدعي الريادة بل تشير إلى دراسات سبقتها في مجال الرواية الأردنية كدراسة الدكتور خالد الكركي (الرواية في الأردن) ودراسة غسان عبدالخالق (الزمان ، المكان ، النص ، اتجاهات في الرواية العربية المعاصرة في الاردن) ودراسة فخري صالح (وهم البدايات) وكذلك دراسة الدكتور إبراهيم خليل (الرواية في الأردن في ربع قرن) ودراسات أخرى في الرواية الأردنية لفاضل ثامر ونزيه أبي نضال والدكتور محسن جاسم ودراسة زامنت كتابة هذه الدراسة للدكتور إبراهيم السعافين بعنوان (الرواية في الأردن) وإذا كانت هذه الدراسات عامة قد تعرضت للموروث فإنها لم تركز عليه ولم تجعل منه محورها الرئيسي كما فعلت هذه الدراسة وعلى مدى اثنتين وثمانين وثلاثمائة صفحة تشكل مادة هذا الكتاب.

ولاشك في أن هذه الدراسة تحتاج إلى تنظير لمفهوم الباحثة عن (توظيف الموروث) وقد خصصت لذلك تمهيدها المتكون من أربعة مباحث الأول عن الموروث لغة والآخر عن الموروث اصطلاحا وهما أمران لا مناص للدراسات المنهجية عنهما وقد عرجت الدراسة على مصطلح جديد طالما رددته الدراسات المعاصرة وهو مصطلح التناص حيث تناولته في المبحثين الثالث والرابع من التمهيد.

وحين يتأمل القارئ خطة الموضوع عبر محتويات الكتاب فإن الأمر المؤكد أن الكاتبة لجأت إلى تجزئة الموروث وهو أمر لامفر منه، إذ أن الموروث ركام هائل يختلط فيه الدر الفريد بسواه من المعادن فضلا عن أن الموروث لايحضر بكل أنماطه في عمل روائي واحد إذ قد يطل على العمل الروائي من خلال نافذة واحدة أو لون خاص أو لقطة فنية من غير أن ينتظم العمل الروائي شكلا وموضوعا وفي هذه الحالة تأخذ الأعمال الروائية الأقرب إلى الموروث أولوية في الحضور والتحليل وتنسحب الأعمال الروائية الأخرى إلى موقع أبعد وبما ينسجم مع صلتها بالموروث محور هذه الدراسة وميدانها الرئيسي وإذا كانت الباحثة قد لجأت إلى تجزئة الموروث وتفكيكه عبر خطتها التي شكلت محتويات كتابها فإنها لم تجزئ عنصر الرواية في خطتها بل جزأتها عبر التحليل وحيثما وجدت تأثير الموروث سواء أكان هذا التأثير في الجملة القصصية السردية أم في رسم الشخصية أم حوارها أم بناء الحدث أم الفضاء الروائي وسواها من الأدوات الفنية للرواية.

ولأن الموروث الديني شديد الوضوح في الرواية الأردنية فإن رفقة دودين تخصص له الباب الأول من الدراسة ومن البديهي أن يكون تأثير القصص الديني في طليعة الموضوعات التي تستأهل الدراسة حيث خصصت لها الباحثة الفصل الأول ،يليها فصل ثان قصير نسبيا تحت عنوان البنيات النصية الصغرى، تناولت فيه مقاطع روائية وظفت مواقف تعتمد على نصوص أو عبارات مقتبسة، وأما فصلها الثالث فقد استأثر بالموروث الوصفي والباحثة تميز مظهرين من مظاهر الموروث الصوفي الأول: المعجم الصوفي وهي تقصد المفردة الصوفية وإيحاءاتها البعيدة كمفردة التجلي والحلم والظاهر والباطن وسواها. أما المظهر الآخر من مظاهر الموروث الصوفي فإنه الطقس الصوفي وكراماته إذ قد تكون سير بعض الشخصيات الروائية أشبه ما تكون بسيرة حياة المتصوفة وعلى النحو الذي أفصحت عنه الدراسة في جانبها التطبيقي.

وقام الفصل الرابع على الموروث الديني والتاريخي السامي وقد أوضحت الباحثة ماتقصده بـ(الموروث السامي) أنها تعني الموروث الديني للحضارات البابلية والفرعونية والفينيقية والآشورية والكلدانية وحضارات أخرى عاصرتها مع أن الحضارة الفرعونية خاصة قد لاتدخل في إطار المصطلح السامي.

وفي الباب الثاني من الدراسة تقف الباحثة عند الأجناس الأدبية المنتمية للموروث التي انعكست على النص الروائي الأردني وبان تأثيرها وأولها الموروث الشعري والأدبي، ويبدو أن الباحثة وجدت أن الموروث الشعري وحده لاينهض بالفصل الأول من الباب الثاني فأشفعته بـ(الأدبي) كي يمكنها أن تورد بعض المواقف والأقوال المنتمية لنصوص نثرية فضلا عن النص الشعري.

ولانستغرب من إيراد الموروث المقامي بوصفه مادة للفصل الثاني من الباب الثاني إذ أن المقامة أقرب من سواها إلى عالم القصة عامة. وفي الفصل الثالث الذي جعلته تحت عنوان الخطاب النقدي يتفاجأ القارئ بمثل هذا العنوان لاسيما أن الدراسة بصدد تأثيرات الموروث في الفن الروائي الأردني فما شأن الخطاب النقدي في ذلك؟ ويبدو أن الباحثة وجدت في بعض الروايات الأردنية مادة للحديث عن مثل هذا الجانب ، وذلك أن تلك الروايات تعتمد على تقنية روائية تستدعي تدخل السارد في سياق النص كأن تناقش الشخصية الروائية كاتبها بشأن تغيير اسمها في الرواية، أو أن السارد يكون أحد الأصوات المتعددة داخل النص الروائي وسوى ذلك من التقنيات ويبدو أن الباحثة تحاول ربط هذا الخطاب النقدي بالموروث إذ لاتبدو العلاقة بينهما واضحة كما هو شأن الفصول السابقة. وفي فصلها اللاحق تنصرف الباحثة إلى السيرة الشعبية التي ربما تستحق التقديم على ماسواها من أنماط الموروث نظرا لاقترابها النسبي من شكل الرواية المعاصرة قياسا ببقية أنماط الموروث عامة.

وتخصص الباحثة بابها الثالث للموروث الفكري وتأثيره في الرواية الأردنية المعاصرة ومن ذلك الفكر السياسي الذي يستأثر بالفصل الأول ثم لانجد للفصل الثاني اسما يوحد بين مبحثين هما الفكر الاجتماعي من جانب والأمثال والعادات والتقاليد من الجانب الآخر.

وتطلق على فصلها الثالث عنوان (اللاشعور الجمعي والأوديبية) وهي تعني به معطيات علم النفس الحديث ولاسيما إنجاز كارل غوستاف يونغ ورأيه فيما دعاه بـ(اللاشعور الجمعي) وهي تستثمر هذا الجانب كي تدخل في إطاره الرموز الأسطورية المنبثة في اللاوعي الجمعي للإنسان الأردني حيث يستدعيها الروائي لضرورات فنية .

وتستأثر عقدة أوديب القائمة على أسطورة أوديبيوس باهتمام الباحثة نظراً لتأثيرها البين في بعض الأعمال الروائية ولاسيما رواية (جمعة القفاري ، يوميات نكرة) للروائي مؤنس الرزاز- على سبيل الاستدلال- وتجعل رفقة دودين (اللقاء الحضاري مع الغرب) عنوانا لفصلها الرابع، وهو عنوان قد يبدو في ظاهره بعيدا عن موضوع الدراسة ومحورها الأساسي (الموروث) بيد أن الباحثة تحاول ربطه بالموروث وذلك عبر بعض النصوص الروائية قيد البحث إذ تتعرض لهذا الصراع الحضاري العنيف في العصر الحديث بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوروبية وبأشكال لاحصر لها وذلك ما وجدته في رواية أحياء في البحر الميت للروائي مؤنس الرزاز و(مقامات المحال) للروائي سليمان الطراونة.

وتستعرض الباحثة ثمار دراستها بثلاث نقاط رئيسية، الأولى: أن النص الروائي الأردني أفاد بشكل عام من مجمل الموروث الديني والتاريخي والإسلامي والسامي- كما أسمته- مستثمرة دلالات ذلك الموروث ورموزه الكامنة في صياغته اللغوية والسردية والمضمونية الحضارية لثقافة الأمة المنتجة لهذا الخطاب الروائي، والمستجيب لقضايا الإنسان العربي المعاصر بعيدا عن الاجترار والاستنساخ للتجارب الموروثة.

ووقفت الباحثة في النقطة الثانية عند مسألة التجريب ، وهي مسألة تشترك فيها الرواية الأردنية بالرواية العربية عامة.

وفي النقطة الثالثة من ثمار الدراسة يتم تناول مسألة إفادة الرواية الأردنية من مدرسة التحليل النفسي القائمة على لاشعور المبدع الجمعي ولا شعور شخوصه الجمعي-كما عبرت الباحثة - وصولا إلى اللاشعور الجمعي للنص الأدبي والذي يفترض هجوم الموروث في اللاوعي الجمعي على هيئة رموز ومعارف وأساطير تحضر في النص الروائي وتفرض وجودها في هيئة أعراف وتقاليد تطل برأسها بشكل أو بآخر من خلال النص الروائي الجاد.

إن كتاب (توظيف الموروث في الرواية الأردنية المعاصرة) إضافة نوعية إلى المكتبة العربية لاسيما أنه يتلبث عند ظاهرة الموروث بوصفها أداة فنية وهوية وجذرا يمتد إلى أعماق الأرض ويمد الفن الروائي المعاصر بالأصالة والرسوخ فضلا عن رشاقة المفردة وجراة الطرح والأساس المنهجي الرصين.

أسير الحقد

افتهان الزبيري

كلامك ليس يعنيني
بحق ليس يعنيني
وليس هناك في قلبي
شعور قابع بيني
فكل الكل يا رجلاً
سترفضها شراييني
وكل الكل يا رجلاً
حروف ليس تعنيني
أنا أرسم بأوراقي
وما شأنك لتنفيني
أنا أكتب بأوراقي
وحبري سوف يرضيني
فـمـا بالك
تحاصرني
وتـرغـب أن
تغنيني
ومـا بالك
تعاتبني
وقولك ليس
يعنيني
لماذا تتجه
نحوي
شظايا
النار يا
وجعي
هراء ...
ليس تكويني
أنا لغتي
خرافية
وقولك لن
يوازيني
حروفي يا
أسير الحقد
في فلكي
نجوماً
هل
تساويني؟؟
أنا لغتي
خرافية
ودمعك ليس يكفيني
فقم من بين أوردتي
حذار
أن تناديني
لماذا؟
أنت تنهرني وتكتبني
وتؤذيني
لما لا تترك الأشجار
تنمو في البساتين
لماذا أنت سادياً
وترغب أن تعاديني
ورغم حروفك الهوجاء
تسكبها
لتهجع بعضها بيني
فإني سوف أنفيها
لأنك في الحقيقة لست
تعنيني
وجودك أو غيابك في
سطور النثر
عادية
ولست بحاجة للشعر
تهديني

ولست أنا بقائمتك
ولن أسمح
بأن تحكي وترويني
توقف...
كيف تعصيني
أنا لغة خرافية
وطعنتك ... ستروينى
وأشدو كل ألحاني
وأكتب أنك الجاني
ولن أعدو
لتركض كالمجانين
وتطعنني
وتدميني
لماذا تتجه
نحوي
وقولك لا يواسيني
فمنذ رأيت أمتعتي
مبعثرة
كسطرك حين
يأتيني
عرفت
أن
أحزاني
تساكن من
يحاكيني
وأهرب
من شظاياك
وتلحقني
أراك
... هنا
تتمتم
كالبراكين
وتقصفني
لذلك لم تعد إنساناً
عرفت أنك لا شيء في
لغتي
وأن هدوءك الرعدي
ينهيني
ويقتلني
ويبكيني
لذلك لم تعد بيني
نفيتك من شراييني
ظلام أنت في شمسي
وظلم بات ينعيني
أنارٌ أنت يا رجلاً؟؟
لتحرقني
ترى من أنت؟
أوحشٌ أم بقايا حقد
تنفثه ... لتفنيني
وتهدمني ... وتبنيني
وتأخذني .. وترميني
وتعصرني
بشعر ليس يعنيني
فلا تعجب
فقولي من فضول الشعر
أصنعه
ولا تحسب أن الدمع في
عيني
لأنك لست تعنيني.

آه يازمان التخلي

أحمد صالح الرداعي

● الحب خطأ جميل .. أي قلب لايقترف هذا الخطأ...

.....!! كم كان يلذ لي أن أتساقى رضاب روح حانية تبلل ريقي من عطش اللحظات الأليمة التي عشتها في كنف القسوة.

ثمة مصاص دماء لطيف .. كثيراً ما كان يروق لي .. وأبداً يشفق القلب عليه ويتوق بين الحين والحين لعضة منه .. إنه الحب .. هذا القنفذ النائم في عمق الحنايا .. لقد أسرفت كثيراً في ذرف الدموع على أطلال حكاية جريحة .. سأحاول أن أمسك بأهداب تفاصيلها الآن..

حب ضائع .. اقتلعته زوبعة الواقع .. وامرأة منذ زمن وقدماي منذورة .. للبحث عنها في لجج الرحيل البعيدة .. أقتفي ظلها الهارب على حواف الجنون الشاهقة محبطاً كأي شريد متهم بالضياع .. منسياً على مهاوي الشقاء الأبدي أحدّق في صحراء الغربة بأنفاسي .. ماذا أرى .. أرى جرح انتظار وطعنة مؤجلة تغتال ماضيها في لحظة ذكرى.

صورة يتيمة تعتصر في طاحونة الخيال .. ورسائل قديمة لم تمهلني كي أموت من الحزن قليلاً .. وأضع في غياهب الألم بحثاً عن دمعتين وقصيدة .. وبقايا شهقة بائسة .. ويلاه منذ فرقتنا مدن الريح وبريد البعيد أصبحت طرقات الشوق المؤدية إليها محفوفة بأشواك الهزائم، وغدت أرصفة الأحلام المستحيلة عارية تماماً من لحظات اللقاء الكسولة. لا وقت، لا مكان، لا أحد، كل المواعيد محض سراب وخدعة وهم لا أكثر..

أحببتها منذ عمر مبكر، يومها .. جبلتني من خطايا الغواية .. لملمتني من طيش تسكعي وراء فتيات العبث .. كان رجفة أمان ووعداً بسعادة .. بيد أنها غدراً وبلا هوادة هيّجت نزق التمرد علي .. وحشرتني في قبو منسي بأقصى الذاكرة تركتني على عتبات الآآه .. أحب الشقاء من إناء قلب فائض بأسى المرارة، أغمس الجرح في ثبج الدمع وأقضم رغيف الوجع يابساً .. أكاد أجن في سبيل امرأة لم تفهمني قط .. أتذكرها الآن كآخر تميمة ألوذ بها من شهقة النسيان الأخيرة .. أتلفع صقيع الزمان وأتذكر عميق دفء الحنان .. فيأتيني برد المساءات الكئيبة ..

مثقلاً بأحزان عمر بأكمله ..سنتين يازمان التخلي.

وأنا موجع من حرقة الفقد غاطس في جحيم الصد .. أرمم وحشة الفراق المخبوءة بين حنايا الفجيعة .. انبش أنقاض ماض مهترئ .. انكأ سوءاء جرح لم يلتئم بعد .. أجمع حطب الأمنيات أنثرها فوق جمر الوجد أملم أعقاب الغياب المتناثر وأفرش هذياني وبراءتي اللاهثة على هاوية الانتحار البطيء..

آه .. هكذا جئت للحب شقياً .. متنكراً بزي غراب منكود الحظ .. أنعب في خرائب النحس .. أرضع من أثداء الوحدة حليب اليأس ... آواه كم بكيت صبية الأمس .. وملأت قرابين النوح .. بنسيج الويل المعتق بالخذلان.

أواه كم بكيت وصليت فوق سجادة الدعاء .. فعلت النداءات القصية لله رباه .. هب لي .. معجزة لقاء .. ونزهة حلم قصيرة .. قرب حبيبة تعني لي الكثير .. أداعب جدائلها الصغيرة .. أعبث بشعرها الكستنائي .. أغمرها بألف نكتة .. لأطوي في تلافيف الذاكرة تعابير وجهها المرح المشاكس وأتملأ عند غيابها الفادح .. ابتسامة عينيها .. براءة ملامحها .. وأصداء ضحكتها الحلوة.

رباه .. في ليلة شاحبة كالموت .. أريد أن أنطفئ حزناً

لعل القلب الموجع ينسى ماجنى

رباه قاتلتي:

منذ قصاص ذبحتني بطعنة نوى

قاتلتي آه قاتلتي .. نشرت أحلامي على حبال الضنى

قاتلتي امرأة بعيدة

رحلت .. وما عادت هنا..

اعلان
٣×١٧